الفصل السّادس

الشّخصية العلميّة للمسلمة الدّاعية وإعدادها نفسياً واجتماعياً

البحث الأول:

بناء الشّخصية العلميّة للمرأة المسلمة الدّاعية

سيكون البحث في هذا الفصل عن العلوم المطلوبة للإعداد الدعوي، ويمكن تقسيمها إلى قسمين هما:

أولاً: العلوم الرئيسة:

وهي المصادر الأولى لإعداد الداعية حيث إنّها تمثل المرتكزات العلمية لدعوته، وأهم هذه العلوم ما يلي:

١ - القرآن الكريم:

القرآن الكريم كلام الله ﷻ، وهو المصدر الأول من مصادر التشريع في الإسلام، وكل المصادر الأخرى تعوّل عليه وتعود إليه.

ولا نحتاج هنا إلى بيان أهمية القرآن للمسلم بقدر ما نحتاج إلى بيان أهميته للداعية، فالقرآن محور الدعوة، يستمد منه الداعية المنهج والأسلوب الذي يعرض به دعوته للناس، كما أنه يتخلق بأخلاقه. يتعلم الداعية من كتاب الله كيفية الدعوة عن طريق سرد القصة القرآنية والمثل القرآني لإيقاظ الشعور الإيماني في النفوس، كما يجذب انتباه السامعين عن طريق عرض أسلوب الحوار والمجادلة في كتاب الله، كما يتعلم عرض الدعوة بأسلوب الاستفهام التقريري أو الإنكاري، وأسلوب الترغيب والترهيب وغير ذلك من الأساليب.

كما أن الداعية يأخذ من القرآن الصّفات اللازمة له من لين في القول ودعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، كما يتخلق بأخلاق القرآن الكريم من المودّة والمحبة وحب الخير للناس، مما يدفعه لبذل قُصارى جهده في نصيحة النّاس ودعوتهم إلى الإسلام عقيدةً وشريعةً.

٢ - التفسير:

بما أنّ إمام الدعاة عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم قد جاء إلى الناس كافة رسولاً من عند الله ليبيّن لهم ما نزل إليهم كما قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[١] فإنّ الدعاة إلى الله هم أحوج الناس لمعرفة كتاب الله والإحاطة بمعانيه على قدر الاستطاعة، لأن حاجة الناس إليهم في ذلك ماسّة حيث قيامهم بالدعوة إلى الله وإلى كتابه، وإذا كان النّاس عند نزول الوحي على رسول الله ﷺ في حاجة إلى تفسير كلام الله ﷻ، فإن الناس في عصرنا الحاضر أشدَّ حاجة إلى ذلك لفهم القرآن والعمل به على مراد الله سبحانه ومراد رسوله ﷺ، لا على مراد أصحاب الأهواء الضالة الذين قصروا قراءة القرآن على الأموات وخالفوا ما تقتضيه شواهد القرآن كما في قوله سبحانه: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[٢] حيث نرى كثيراً من الناس وهم يتلون يطوفون حول ضريح مدفون في ناحية المسجد يدعونه بأعلى أصواتهم قائلين: يا سيدي يا سيدي ولا يجرؤ أحد أن ينهاهم عن هذا المنكر. ومما سبق يتبيّن أهمية تفسير كتاب الله للمسلم وللدّاعية على وجه الخصوص.

٣ - الحديث النبوي:

الحديث النبوي هو المصدر الثاني للتّشريع، وهو مرتبط به ارتباطاً وثيقاً لأن الحديث النبوي جاء موضحاً للقرآن بالإضافة إلى شموله لأحكام شرعية لم يتعرّض لها القرآن الكريم.

ولذا فإنّ الحديث النبوي مهم للداعية، يستمد منه الزّاد العلمي، ويمده بالشواهد والأدلة التي يستنبط منها الأحكام الشّرعية.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٢) سورة الجن، الآية: ١٨.

كما تأتي أهمية الحديث للداعية حيث أن القرآن الكريم لا يفهم على حقيقته في كثير من الأحيان، ولا يعمل مراد الله في كثير من الأحكام إلّا بالرجوع إلى حديث رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه الكتاب ليبيّن للناس ما نزل إليهم من ربهم كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

ولقد أشاد ابن القيم رحمه الله بعلم الحديث وأثره في الدعوة عن طريق الإشادة برجاله حيث قال: ولمّا كانت الدّعوةُ إلى الله والتبليغ عن رسوله ﷺ شعار حزبه المفلحين وأتباعه من العالمين، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[٢] وكان التبليغ عنه من عين تبليغ ألفاظه وما جاء به وتبليغ معانيه، كان العلماء من أمته منحصرين في قسمين: أحدهما حفّاظ الحديث وجهابذته والقادة الذين هم أئمة الأنام وزَوَامِلُ الإسلام الذين حفظوا على الأئمة معاقد الدين ومعاقله، وحموا من التغيير والتكدير موارده ومناهله، حتى ورد من سبقت له من الله الحُسنى تلك المناهل صافية من الأدناس لم تَشُبْها الآراء تغييراً. أما القسم الثاني فهم: فقهاء الإسلام ومن دارت الفتيا على أقوالهم بين الأنام الذين خُصُّوا باستنباط الأحكام، وعُنُوا بضبط قواعد الحلال والحرام، فهم في الأرض بمنزلة النجوم في السماء[٣]!.

وكما قلنا عن استفادة الداعية من أسلوب العرض القرآني للدعوة نقول كذلك باستفادته من أسلوب العرض النبوي المتعدد الأغراض كأسلوب القصة والمثل والحوار والاستفهام التقريري والإنكاري إلى غير ذلك من الأساليب.

كما يأخذ الداعية من حديث رسول الله ﷺ الصفات اللازمة التي سلكها رسول الله ﷺ في دعوته وحثّ عليها أُمّتَهُ.

---

(١) سورة النحل، الآية: ٤٤.

(٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٨.

(٣) ابن القيم الجوزية، أعلام الموقعين عن رب العالمين، ج ١، ص: ٨.

٤ - علم العقيدة:

ترجع أهمية دراسة العقيدة للداعية إلى عدة أمور منها:

(أ) إن التوحيد هو المحور الأساسي للدعوة وهو الذي ترتكز عليه عبادة الله سبحانه وتعالى، كما أن العبادة لا تصلح إلا به، يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾[١].

(ب) إنه أول أمر كلّف الله سبحانه وتعالى به رسله عليهم الصلاة والسلام لاعتقاده وتبليغه للناس ودعوتهم إليه وإلزامهم به، حيث يقول الحق تبارك وتعالى عن نوح عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾[٢] وكما قال سبحانه لمحمد ﷺ: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ﴾[٣].

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ النّبيّ ﷺ بعَثَ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن فقال: «**ادعهم إلى شهادة لا إلٰه إلا الله وأنّي رسول الله، فإن هم أطاعُوا لذلك فأعلمهم أنّ الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعُوا لذلك، فأعلمهم أنّ الله افترضَ عليهم صدقةً في أموالهم تُؤخذ من أغنيائهم وتُردّ على فقرائهم**».

وإذا عرف الداعية العقيدة الصحيحة، فإنّه بذلك يعد نفسه لتصحيح كثير من الأخطاء الشائعة عند كثير ممن ينتسبون إلى الإسلام.

٥ - الفقه وأصوله:

من المعلوم أن الفقه متعلق بالعبادات البدنية والمالية، ومن هذا الجانب فإن على الداعية تعلم الفقه لحاجته الشخصية، ولحاجة المدعوّين كذلك، حيث إن

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤٨.
(٢) سورة هود، الآيتان: ٢٥، ٢٦.
(٣) سورة محمد، الآية: ١٩.

الناس يفترضون في الداعية أن يكون فقيهاً كي يستطيع أن يقدم للمدعوين الذين يقبلون على دعوته أحكام الشرع في العبادت والمعاملات، وعدم معرفة الداعية للأمور الفقهية المهمة يعتبر نقصاً فيه وتقصيراً.

ويلزم المرأة الداعية المعرفة بقدر المستطاع بالأحكام الفقهية المتعلقة بالنساء لأن الشريعة قد خصتهن بأحكام تزيد عن أحكام الرجال في الطهارة من الحيض والنفاس والصلاة والصوم والحج والعدّة من الطلاق والوفاة وأحكام السفر والحجاب وأمور كثيرة أخرى.

فعلم أصول الفقه: هو إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية[١].

وهذا العلم مهم للداعية كي يعرف الأدلة المتفق عليها عند المسلمين في كافة مصادر التشريع وهي الكتاب، والسنة، والإجماع [الإجماع في اصطلاح علماء الشريعة: اتفاق مجتهدي الأمة في عصر على أمر ولو كان الأمر فعلاً اتفاقاً كائناً بعد النّبيّ ﷺ].

والقياس [وهو رد فرع إلى أصل بعلّة جامعة بينهما] وغير ذلك من الأدلة المعتبرة. ثم التعرف على كيفية الاستنباط من الكتاب والسنة، ومن يجوز له، ومن يجب عليه، ومن يحل له التقليد أو يحرم عليه. كما أن الداعية بحاجة إلى معرفة الراجح من المرجوح.

٦ - سيرة الرّسول ﷺ وشمائله الكريمة:

إن العمل بسيرة النّبيّ ﷺ وشمائله الكريمة مهم جداً حيث إنها تعرض ما عليه المصطفى الكريم ﷺ من سيرة حميدة وشمائل كريمة يمثلها كثير من نصوص السنّة المطهرة.

ومن هذا المفهوم نعرف العلاقة بين السيرة والسنّة حيث يجتمعان في أشياء وينفرد كل منهما بشيء آخر.

---

(١) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحقّ من علم الأصول، ص: ٣.

ودراسة السيرة والشمائل مهمة للمرأة المسلمة الداعية للأمور التالية:

١ - أن تجد المرأة الدّاعية بين يديها صورة للمثل الأعلى في السّلوك البشري في كل شأن، للتّمسّك بها وتمثلها والتأسي بها، حيث يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾[١]. وهذا ممّا يُيسّر الوقوف على منهج النّبيّ ﷺ في الدّعوة والتّربية والتّعليم فيما يدخل ضمن احتياجات النساء، ومثال ذلك ما يلي:

(أ) التعرف على كيفية تعامل الرّسول ﷺ مع زوجاته رضي الله عنهن مما لا يمكن رؤيته لأحد غيرهن.

(ب) استعراض حياته الدعوية في مكة والمدينة، وصبره على أذى قومه، ومعالجته لهذه المواقف، كما أنّها استعراض لحياته الجهادية للاستفادة منها في حياة الداعية، لتقوم المرأة المسلمة على تنشئة أبنائها على الصبر والتحمل وإعدادهم لخوض معارك الجهاد.

٢ - أن تجد المرأة الدّاعية في سيرة الرّسول ﷺ ما يعينها على فهم كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ حيث أن كثيراً من آيات القرآن الكريم والأحاديث الشريفة إنما تفسرها وتجليها الأحداث التي مرت برسول الله ﷺ وموقفه منها.

٣ - الاستفادة مما تعرضت له السيرة من العبر والعظات والدروس فكم أهلك الله من جبار عنيد توفرت له أسباب القوة والنصر، وكم نصر عباداً ضعفاء كما قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[٢]!؟

٤ - معرفة ما قامت به المرأة المسلمة من نشاط دعوي عظيم وخدمة في معارك الجهاد الحربية من جهاد للأعداء وتضميد للجرحى ونقل الماء للمجاهدين.

٥ - ذكر الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسوله ﷺ كلما مرّ ذكره

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٤٩.

تنفيذاً لأمر الله سبحانه حيث يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[1]. وكما قال ﷺ: «**مَنْ صلّى عليَّ صلاةً واحدةً صلى الله عليه بها عشراً**»!!.

٧ - دعوة الرّسل:

الرسل عليهم الصلاة والسّلام هم المثل الأعلى والقدوة المثلى لأقوامهم، ودعواتهم هي النمط المحتذى الذي يسير عليه من بعدهم ولذا تأتي أهمية دراسة دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

إن أهمية دعوة الرسل تعود لقضايا كثيرة لا يمكن الإحاطة بها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

(أ) دراسة دعوة الرّسل تبيّن للدّاعية الأولويات التي دعا إليها رسل الله عليهم أفضل الصلاة وأتم التّسليم حيث بدأوا بالدعوة إلى الإيمان بالله وحده، وإفراده بالعبادة، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى القضايا الأخرى، وهذا هو المنهج الذي أمر الله سبحانه وتعالى رسله بالسّير عليه وأتباعهم من لدن نوح إلى محمد عليهم الصلاة والسلام، ومن ثم فإنّ الدّعاة من بعدهم سيقتفون أثرهم في هذا المنهج.

(ب) كما أن هذه الدراسة يتبيّن منها للداعية تفاصيل المنهج الدعوي في حياة الرسل، وتُطلعه على الأساليب التي عرضوا بها دعوتهم، والوسائل التي استخدموها، فتستنير بها المرأة الداعية، وتسير على هديها في نشر الدعوة بين أفراد أسرتها ومحارمها وبنات جنسها.

١٠- التّربية في الإسلام:

التّربية في الإسلام جانب من جوانب الدّعوة إلى الله يدرس منهج القرآن والسّنّة في التّربية مستعرضاً كافّة الوسائل والأساليب التّربوية التي وردت في هذين المصدرين، مبينة ما كان عليه الرّسول ﷺ من خصائص تربوية ربّى عليها أصحابه رجالاً ونساءً شيباً وشباباً وأطفالاً.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

ثانياً: العلوم المساعدة:

وهذا النوع من العلوم جاء خادماً للعلوم الأصيلة من وجوه عدة منها اللغوي والدعوي والأصولي والتاريخي وأهم هذه العلوم ما يلي:

١ - اللغة العربية وآدابها:

علم اللغة العربية من حيث تقويم اللسان والقلم - ويشمل علم النحو والصرف والأدب وغير ذلك من علوم اللغة العربية - مهم للدعوة لأنه السبيل إلى فهم مراد الله سبحانه من التنزيل.

أكرم الله سبحانه وتعالى العرب بنزول القرآن بلغتهم، ولذلك تأتي أهمية اللغة العربية، وبالتّالي وجب على المسلمين كافّة تعلم ما يكفي منها لإقامة عباداتهم المفروضة على أقل تقدير، كما يحسن لكل من يتولى الدعوة إلى الله معرفة هذه اللغة.

وتأتي أهمية اللغة العربية للدّاعية، من حيث إنّه المبلغ عن الله سبحانه وتعالى، والمبلغ عن رسوله محمد ﷺ كما أنه ناقل لكلام الله وكلام رسوله ﷺ اللذين جاءا بلغة العرب، فلا بدّ إذاً من نقلهما إلى المدعوين كما هما، لأن تخلي الداعية عن استخدام اللغة العربية الفصحى يسبب دخول اللحن في آيات القرآن الكريم، وأحاديث المصطفى ﷺ فيصرف معانيها عما جاءت به إلى غير مرادها، ومن الأمثلة على ذلك قول الله ﷻ: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾[1] فلو أن كلمة ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ بفتح التاء قرئت بالضم (أنعمتُ) لتغير المعنى تغيّراً جذرياً حيث إن الآية بهذا المعنى تجعل العبد القارىء لها هو صاحب الإنعام على المسلمين، بينما صاحب الإنعام هو الله سبحانه وتعالى. وقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[2] فلو أن لفظ الجلالة ﴿ٱللَّهَ﴾ دخلت عليه الضمة في آخر حروفه فيقرأ لفظ الجلالة هكذا ﴿اللهُ﴾ وبهذا يتغير المعنى، وينصرف عن المراد به، ويصبح لفظ الجلالة فاعلاً للخشية، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٧.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

obeikandl.com

وقد يقود التحريف في القرآن إلى القول على الله بغير حق كما في قوله سبحانه: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾(١) فلو أنّ كلمة ﴿رَسُولُهُۥ﴾ قرئت بكسر لام رسول لتغيّر المعنى، ولأصبح مفهوماً براءة الله من المشركين ومن رسوله، ومعاذ الله أن يبرأ من رسوله، وحاشا لرسوله أن يبرأ منه الله.

وإذا كان الاختلاف في الإعراب خطيراً لهذه الدرجة فإن الأدب العربي بشعره ونثره وأمثاله وحكمه ووصاياه مهم للداعية المتحدث إلى الناطقين بالعربية، يعذب به لسانه ويُجوّد به أسلوبه عندما يعبر عن شيء يريد إيصاله إلى المدعوين، وقد صح في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنّ من البيان لسحراً، وإنّ من الشعر حكماً**».

وكان رسول الله ﷺ يستمتع لسماع الشعر القوي الفصيح البليغ من أمثال شعر حسان بن ثابت، وشعر كعب بن مالك، وشعر عبد الله بن رواحة ﷺ، بل إنه ﷺ كان يحثُّ على هجاء المشركين شعراً، كما حث حسان بن ثابت بقوله: «**اهج المشركين فإن جبريل معك**» وذلك عندما هجا المشركون رسول الله ﷺ.

وليست الفصاحة والبلاغة والبيان مطلوبة فقط من الرجال دون النساء، أو أن الحاجة إلى توفرها تقل عندهن، بل إن توفّرها مطلوب في الجنسين كي يستفيد كل منهما بالدعوة ويفيد، كما كانت عليه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها من قوة بيان وفصاحة لسان شهد لها بذلك معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما، حيث قال: «والله ما سمعت قط أبلغ من عائشة، ليس رسول الله ﷺ».

٢ - خصائص ا سلام:

إنّ أهميّة موضوع خصائص الإسلام، تتمثّل في تعريف الدّاعية بالإسلام، من حيث الكمال والعموم والشمول، وأنه الدين الذي رضيه الله لعباده، كما قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾(٢).

(١) سورة التوبة، الآية: ٣. (٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

وقوله ﷻ : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾[١] وقوله سبحانه: ﴿وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ تِبۡيَٰنٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُسۡلِمِينَ﴾[٢] وكذلك الربانية والوسطية وغير ذلك من الخصائص.

فإذا تعرف الداعية على هذه الخصائص تولد عنه الشعور بالاعتزاز بهذا الدّين، خاصّة إذا درست هذه الخصائص مقارنة بخصائص الدّيانات الأخرى، وما فيها من قصور عن تلبية متطلبات الحياة الدنيا والآخرة، فإن ذلك مما يدفع الداعية إلى القيام بالدعوة بعزم وتصميم وإخلاص وإيمان.

٣ - دراسة حالة العالم في الماضي والحاضر:

(أ) **التاريخ**: للاعتبار بأحداث التاريخ البشري، والأخذ بالصالح والتخطيط لسلوكه، وترك الفاسد والتحذير منه والتخطيط لمحاربته.

إن دراسة التاريخ استعراض لحياة البشرية، بما مرت به من أحداث وسير، وهو مجال خصب لأخذ العبرة والعظة من الغابرين، وقد وجّه القرآن الكريم إلى السير في الأرض والوقوف على مصير الأقوام المكذّبين، قال الله تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾[٣]. إن القرآن الكريم في هذا التوجيه الكريم يهدف إلى ربط ماضي البشرية بحاضرها، وحاضرها بماضيها، فيُشير من خلال ذلك كلّهِ إلى مستقبلها.

إنّ حاجة الدّاعية إلى التّاريخ تكمن في الاستفادة من تجارب الماضين، صالحين وطالحين، والإحاطة بمصير كل فريق كي يطمئن قلبه من جهة حُسن العاقبة للمتقين، ويحذر الانزلاق مع المكذبين من جهة أخرى ، ويقوم بمسؤولياته مع المدعوين خير قيام في بيان الدّروس والعبر والمواعظ من أحداث حياة السابقين وصدق الحقُّ إذْ يقول: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾[٤].

---

(١) سورة سبإ، الآية: ٢٨.
(٢) سورة النحل، الآية: ٨٩.
(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١.
(٤) سورة يوسف، الآية: ١١١.

ب - **حاضر العالم الإسلامي**: لدراسة واقعه الديني والسياسي والاقتصادي والثقافي وغير ذلك.

إنّ دراسة حاضر العالم الإسلامي والواقع الذي يعيشه من كافّة النواحي الدّينية والسياسية والاقتصادية والثقافية، بالإضافة إلى دراسة ما يُواجهه من اضطهاد وتنصير وحرب وإبادة تأكل الرطب واليابس من أهم القضايا التي تهمّ الدّاعية في العصر الحاضر، وعلى الأخص فيما يتعلق بجانب المرأة المعاصرة، وكيفية مواجهتها لهذه الظروف القاسية، ودراسة ما يمكن أن تقدمه المرأة لأختها المضطهدة والمشرّدة التي تكالبت عليها قوى الشّر والعدوان من كل جانب كمحاولة إيهامها بدعوى الحرية والحقوق المهضومة والصيحات التي تنادي بخروجها على قيم دينها وتعاليمه السّماوية ، وجرّها للاختلاط بالرجال في مواقع العمل، وحثّها على التّبرّج والسّفور، ومطالبتها بتحريم الطلاق وتعدّد الزّوجات، والحرية الشّخصية بلا حدود.

ج - **دراسة حاضر العالم أجمع**: للتعرف على واقعه الديني والسياسي وغير ذلك.

إنّ دراسة حاضر العالم على نظام الشرائح والنّماذج المحددة تعطي الدّاعية فرصةَ التّعرّف على كافّة الأحوال العقائدية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية؛ للاطلاع على جوانب الحضارة المادّية ، إيجابياتها وسلبياتها للاستفادة من عوامل نجاح الحضارة المادّية، والتّحذير من عوامل انحطاطها الإيماني والخُلُقي، ومعرفة مكامن الخطر في تلك الحضارات، لكي نقوم نحنُ المسلمين بنقل عقيدة الإسلام وتعاليمه السمحة إلى سكان هذا العالم بأسره حيث مسؤولياتنا الكبيرة في ذلك.

obeikandi.com

البحث الثاني:

أهمّية قيام النّساء بالدّعوة إلى الله تعالى

إذا كانَ من المعلوم بالتّجربة إمكانية قيام الرّجل بالدّعوة إلى الله، فإنّ المرأة كذلك، وكل منهما يعمل في ميادين خاصّة لكل جنسٍ مع اشتراكهما في ميدان أسرة البيت والأرحام، ويستخدمان وسائل وأساليب واحدة في الغالب.

إنّ الإمكانات التي تظفر بها المرأة المسلمة في مجال الدّعوة كثيرة وسنجد مصداق ذلك عند الحديث عن ميادين الدّعوة وأساليبها ووسائلها إنْ شاء الله تعالى.

إنّ بإمكان المرأة أن تقوم على تربية أبنائها وبناتها وإخوانها وأخواتها على تعاليم الإسلام والدعوة إليه، كما أنّ بإمكان المرأة أن تقوم بدعوة والديها وأعمامها وعماتها وأخوالها وخالاتها وجميع محارمها[1] علاوة على ميدان تخصصها النسوي مع كلّ امرأة وفي كل ميدان نسوي سواء كان تربوياً أو اجتماعياً.

وإذا كانت المرأة المسلمة قد كُلّفت شرعاً بالقيام بالدّعوة إلى الله فإنّ ذلك التّكليف مبنيٌّ على عدّة مسوّغات وأسباب يتضح من خلالها مدى ما تحققه تلك المسوّغات والأسباب من بيان شامل لإمكانات مشاركة المرأة بالدّعوة.

ولا يمكن أن نأتي على ذكر المسوّغات والأسباب كلّها، وحسبنا أن نلمّ بأهمّها كما يلي:

أولاً: أنّ المرأة في الغالب تكون أقدر من الرّجل على البيان والتّبليغ وفي بعض ما يخص الوسط النّسائي نظراً لتجانس الظروف سواء ما كان متعلّقاً منها بالتركيب العضوي في الأجسام، أو ما يترتب على ذلك من أوضاع خاصّة بالمرأة من الأمور النّفسية والاجتماعية وغير ذلك.

---

(١) يؤكد هنا القول ما كلفت به المرأة من مسؤولية كما في قول الرّسول ﷺ: «**والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولده وهي مسؤولة عن رعيتها**» وقد سبق تخريجه.

ثانياً: إنّ مجال تأثر المرأة بأختها سواء في القول والعمل والقدرة والسّلوك أكثر مما تتأثر المرأة بالرجل أو تقتدي به لأنّ فعل المرأة الدّاعية هو نفسه نوعٌ من دعوة النّساء بفعلها على عكس الرّجل حيث يُكلَّف بأمورٍ لا تُكلَّف بها المرأةُ، وتكلف المرأةُ بما لا يُكلَّف به الرجل، مثل ترك الصّلاة والصّوم في أوقاتٍ معلومة، كما أنّ صلاة الجماعة غير واجبة على المرأة، ولذلك فلا يمكن أن يكون الرجل أسوةً في هذه الأمور، أمّا المرأة فإنها إذا دعت أختها لفعل شيء أو تركه فإنّ ذلك يكون متمشياً مع ظروف المرأة وأحوالها حسب تكاليف الشّرع وأوامره ونواهيه[١].

ثالثاً: إنّ المرأة بحكم معايشتها للمجتمع النّسائي تستطيع أن تطرق كافّة المجالات التي تحتاجها المرأة في المجال الدعوي وبذلك تتميز في عملها عن الرجل بالشّمول في الوسط النّسائي.

رابعاً: تستطيع المرأة الدّاعية التّمييز بين الأولويات في قضايا الدّعوة في المجتمع النّسويّ، فتقدّم الأهمّ على المهمّ، وهذا الأمر لا يُمكن تحقيقه إلّا بالمعايشة في الوسط النّسائي ممّا لا يستطيع الرجل تحقيقه إلّا في مجتمع الرجال.

خامساً: تستطيع المرأة الدّاعية ملاحظة الأخطاء سواء ما تعلق بالعقائد أو العبادات المفروضة أو في السّلوك مما يدفعها إلى التّنبيه وتصحيح الأخطاء تنفيذاً لما رواه أبو سعيد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ رأَى منكُمْ منكراً فليغيِّرْهُ بيدهِ فإنْ لم يستطع فبلسانِهِ**»[٢] الحديث.

سادساً: تستطيع المرأةُ القيام بالدعوة الفردية مع كافّة النّساء، ممّا لا يمكن للرجل القيام به استناداً إلى تحريم خلوة الرّجل بالمرأة لقول رسول الله ﷺ في

---

(١) وغير ذلك من الأحكام الفقهية الأخرى.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، ج ١، ص: ٦٩، رقم الحديث ٧٨.

الحديث الذي رواه ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: «**لا يخلونّ رجلٌ بامرأةٍ إلّا معَ ذي محرم**»[١].

سابعاً: تمشياً مع ظروف العصر فإن اتصال النّساء قد أصبح من الأمور المتكررة وبالميسورة في مواطن الدراسة والعمل أو عن طريق الهاتف مما يعطي الأهمية لاشتغال المرأة بالدّعوة في هذه الميادين.

ثامناً: وجود الغزو الفكري في دعوة النّساء وتحريضهنّ على التّبرّج والاختلاط، والتمرد على القيم وتعاليم الدِّين مما يوجب انطلاق الدعوة من الوسط النّسائي بدون الاعتماد على وكيل يدافع عنهنّ حيث يكون ردهنّ أقوى؛ لأنّهن المقصودات بهذا الغزو، والاعتماد على النّفس يظهر فيه قوة الحقّ والإيمان به وصلابة الصّمود وحريّة الرّأي.

تاسعاً: حيث إنّ وظيفة المرأة التّربوية أوسع من وظيفة الرجل، لأنّ الحمل والولادة والرضاعة والحضانة من اختصاصات المرأة، فقد أعطى للمرأة أهمية القيام بالدّعوة سواء قامت الأم بهذه الوظائف الأربع أو اقتصرت على الحمل والولادة وقامت امرأة أخرى بالرّضاعة والحضانة، حيث إنّ هذه الوظائف كلها وظائف نسائية بحتة. هذا بالإضافة إلى أنّ فترة ملازمة الأبناء والبنات للأم أطول من فترة ملازمة الأب بنسبة كبيرة تستغرق معظم سنّ ما قبل البلوغ، بالنسبة للذّكور ومعظم سنّ الفتاة ما قبل الزّواج، ذلك لأنّ البيت مكان قرار المرأة الطبيعي.

فإذا كان قيام المرأة المسلمة بالدّعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والتّربية على أُسس الإسلام وأصوله على هذه الدّرجة من الأهمية، فهل المرأة المسلمة المعاصرة على المستوى المطلوب من الوعي والإدراك لمسؤوليتها العامة؟ وهل هي على المستوى من العلم يُؤهلها للقيام بهذه المهمة الصّعبة؟.

---

(١) البخاري مع فتح الباري، كتاب النكاح، باب: لا يخلون رجل بامرأة، ج ٩، ص: ٢٣١، رقم الحديث ٥٢٣٣.

إنّ معظم العالم الإسلامي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه يئنُّ من وطأةِ الجهل، والجهل بتعاليم دينه بخاصة، وهذا الجهل تعظم نسبته في أوساط النّساء.

ولذلك فإن أول شيء تطالب به المرأة المسلمة دفعها الجهل عن نفسها بطلبها للعلم الواجب عليها شرعاً، والاهتمام بتعاليم الإسلام بأوامره ونواهيه فلا يكفي حمل بطاقة الانتساب للإسلام.

فإذا نالت المرأة المسلمة القسط الواجب تعلمه شرعاً فإنها ستدرك حتماً مسؤوليتها الدّعوية والتّربوية تجاه أبنائها وبناتها داخل الأسرة الصغيرة «أسرة البيت» ومن ثم أبناء وبنات الأسرة الكبيرة «أسرة المجتمع» استناداً إلى إدراك كل أسرة صغيرة مسؤوليتها الفردية، وبذلك يزول شعورها بأنّ مسؤولية الدّعوة إلى الله سبحانه وتعالى تقع على عاتق الرجل وحده فتشاركه في تحمل هذه المسؤولية الدّعوية والتّربوية الإيمانية للجيل الصغير إضافة إلى قيامها بالتربية الجسمية في النّمو والصّحة واللّباس فتصبح ذات أثر طيب وتأثير ملموس في توجيه الأبناء في العقيدة والسّلوك وفق أوامر الله ونواهيه، فتبرز بذلك شخصيتها وكيانها المستقل كما تقوم كذلك بالدعوة في مجتمع نسائها.

البحث الثالث:

إعداد المرأة للدّعوة إلى الله تعالى

إنّ العلم مهمٌّ وضروريٌّ للإنسان في هذه الحياة كي يسير على نور من الله سبحانه وتعالى ينتفعُ به في خلافتهِ على هذه الأرض، ويقوده إلى رضوان الله وجنّته في الدار الآخرة.

والمرادُ بالعلم - كما قال ابن حجر رحمه الله: «العلم الشّرعي الذي يُفيد معرفة ما يجب على المكلَّف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته ما

يجب له من القيام بأمرِهِ وتنزيههِ عن النّقائص»[١].

ولقد اهتمَّ القرآن الكريم والسّنّة المطهرة بالعلم وليس أدلّ على ذلك من افتتاحية هذه الرّسالة بالقراءة والكتابة[٢] ومعلوم أنّ القراءة تشمل القراءة من مكتوبٍ أو متلوٍّ عن ظهر قلب.

قال الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤﴾[٣].

والقلم هو آلة الكتابة التي كانت ولا تزال أوسعُ وأعمق أدوات التّعليم أثراً في حياة الإنسان.

ولبيان فضل الله على الإنسان بخصوص العلم والمعرفة قال الله ﷻ في أول آيات الوحي: ﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[٤] فهذه الآية تبرز لنا مصدر العلم؛ إنّه الله سبحانه العالم بكلِّ شيء منه يستمد الإنسان كل ما علم وكل ما يعلم وكل ما يفتح له من أسرار هذا الوجود ومن أسرار هذه الحياة ومن أسرار نفسه فهو من هناك من ذلك المصدر الواحد الذي ليس هناك سواه.

وإنّ العلم يُواكب الإنسان منذ اللحظات الأولى لخروجه إلى ميدان الدّنيا الواسعة التي كان قبلها لا يعلم شيئاً على الإطلاق قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾[٥] وكان أول مستقبل لهذا العلم الربّاني من البشر هو أبونا آدم عليه السلام الذي علّمه ربُّه الأسماءَ كلّها كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾[٦] وإن أشرف العلوم القرآن الكريم الذي أنزله الله على عبده

(١) فتح الباري، ج ١، ص: ١٤١.
(٢) انظر محمد الأمين المختار الجكني الشنقيطي: أضواء البيان في توضيح القرآن بالقرآن، ج ٩، ص: ٣٤٥. وهو الكتاب الثاني من التتمة التي كتبها الشّيخ عطية محمد سالم، المطابع الأهلية الأوفست الرياض سنة ١٤٠٣ هـ/١٩٨٣ م.
(٣) سورة العلق، الآيات: ١ - ٤.
(٤) سورة العلق، الآية: ٥.
(٥) سورة النحل، الآية: ٧٨.
(٦) سورة البقرة، الآية: ٣١.

ورسوله محمد ﷺ قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾[١].

وقد حثَّ القرآن الكريم على العلم وخاصّة العلم بالله قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾[٢] وأمر الله رسولَهُ بالاستزادة من العلم كما قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[٣] ولم يأمره بطلب الاستزادة من شيءٍ سواه[٤].

ولقد نظر الإسلام للعلم وأهله نظرة متميزة عن غيرهم فرفع درجاتهم وفضّلهم على الجاهلين، قال الله ﷻ: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾[٥] [٦] وقال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾[٧].

وقد بيَّن الله ﷻ فضلَ العلماء على الفريق الآخر، وميّز كلاًّ منهما ببيان حالهما بأسلوب الاستفهام التقريري، فقال سبحانه: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾[٨] وقال سبحانه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[٩].

وبهذا كان الإسلام الصّرح الأعظم في العلم في هذا الكون.

---

(١) سورة الرحمٰن، الآيات: ١ - ٤.
(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.
(٣) سورة طٰه، الآية: ١١٤.
(٤) انظر فتح الباري، ج ١، ص: ١٤١.
(٥) ويقول القرطبي في تفسير الآية ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ﴾ أي بالعلم والإيمان. تفسير القرطبي، ج ٩، ص: ٢٣٨.
(٦) سورة يوسف، الآية: ٧٦.
(٧) سورة المجادلة، الآية: ١١.
(٨) سورة الرعد، الآية: ١٩.
(٩) سورة الزمر، الآية: ٩.

البحث الرابع:

الإعداد النّفسي للدّاعية المسلم

مفهوم الإعداد النّفسيّ للدّاعية المسلم:

هو تهيئته وتكوينه نفسياً ليكون على استعداد للمشاركة الفعلية بعزمٍ وثباتٍ وشجاعةٍ وإقدام في مجال دعوة الأفراد والجماعات متحملاً لكلّ الصّعاب التي تُواجهه في هذا الطريق.

أهميتُـهُ:

الإعداد النّفـسي للدّاعية أمر في غاية الأهمية لارتباط وظيفته بالنّاس، والنّاس متنوعو الثّقافات والعقائد والأديان، كما أنّهم متنوعُو الأهواء والمشتهيات والأغراض والأهداف، بالإضافة إلى اختلاف نمط الأخلاق من شخص إلى آخر، وتباين المجتمعات سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ونفسياً وتاريخياً. ولكي نعد الدّاعية - رجلاً كان أو امرأةً - من النّاحية النّفسية ليكون على استعداد للمواجهة الدّعوية - فردية كانت أو جماعية - فلا بدّ من توفر بعض الصّفات والمطالب النّفسية اللازمة لهذا الإعداد ومن أهمّها ما يلي:

١ - الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ.

٢ - الإخلاص لله تعالى.

٣ - التفاؤل بالمستقبل.

٤ - الجرأة في الحقّ.

٥ - الاعتزاز بالإسلام.

٦ - الصبر على المكاره.

٧ - معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم داخل العالم الإسلامي.

٨ - معرفة حال المخاطبين وبيئاتهم خارج العالم الإسلامي.

obeikandl.com

وهذه الشّروط يتفق فيها الدعاة رجالاً ونساءً، يُضاف إليها شرطٌ خاصٌّ بالنّساء يتلاءم مع الظروف والأحوال الخاصّة بالنّساء من حيث اختصاصهنّ بالحمل والولادة والحيض والنّفاس، ممّا يجعلهن يتركن الصلاة لمدة الحيض والنّفاس، ويؤخرنَ الصّومَ والطواف بالبيت في هذه المدة، كما أنّهنّ يتعرضن لعدّة الطّلاق أو الوفاة، كما يتعرّضنَ لفرض الحجاب، وكلّ هذه الأحوال ممّا يزيد من تحملهنّ مسؤوليةً خاصةً في تبليغ ما يتعلق بالأحكام الشّرعية لمثل هذه الأحوال حيث أنهنّ قد يكن أقدر من الرجال على تبليغها وبيانها لبنات جنسهنّ، ومن هذه الحيثية فلا بدّ من التهيّؤ النّفسي لهذه الظّروف.

١ - الإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ:

إنّ الإيمان بالله ورسوله وبما جاء من عند الله وعلى لسان رسوله ﷺ أهمّ العوامل والمقوّمات النّفسية التي تدفع الإنسان للدّعوة إلى الإسلام والتّضحية في سبيله بكل ما يستطيع من بذل النّفس والمال، وبذل الجهد والوقت من أجله، واحتساب ذلك عند الله ﷻ من غير تردّد عن ذلك أو تراجع، وإذا عُدِمَ الإنسانُ هذا العامل لم يكن مسلماً وبالتّالي فلا يستطيع الإسهام في هذا المجال، وفاقد الشيء لا يُعطيه.

ولو لم يكن هذا العامل موجوداً في نفوس صحابة رسول الله ﷺ والتّابعين لهم ومن بعدهم من رجال الدّعوة إلى الله لم يستطيعوا تقديم شيءٍ ممّا قدموه من تضحيات في سبيل الله حيث ضحوا بأوقاتهم وأموالهم وأرواحهم في سبيل الله وإعلاء كلمة التوحيد، ورفع راية العقيدة، والذّود عنها، ونشرها في الأقاليم بالجهاد في سبيل الله تعالى.

وإنّ الإيمان بالله ﷻ، والإيمان بموعوده في الدنيا والآخرة يصنع الأعاجيب.

إنّ الإيمان بالله هو الذي دفع أبا بكر رضي الله عنه أنْ يصدّق الرّسول ﷺ بخبر الإسراء[1]. وهذا الإيمان دعا بلالاً رضي الله عنه للصبر على حرّ الرّمضاء وقت الظّهيرة،

(١) تفسير ابن كثير، ج ٥، ص: ١٣.

والصّبر على ثقل الحجر وهو يقول: أحدٌ أحدٌ[١]. وهذا الإيمان هو الذي دعا أسرة آل ياسر للصّبر على الشّدّة والعذاب والنّكال، ويمرّ بهم النّبيّ ﷺ وهم يعذّبون فيقولُ مواسياً: «**أبْشِرُوا آلَ عمّار وآل ياسر فإنّ موعدكم الجنّة**»[٢]. فصبرت هذه الأسرة على هذا التّعذيب ومات ياسر بسببه، وطعن أبو جهل لعنه الله سميّةَ في قلبها فماتتْ.

والإيمان بالله سبحانه وبرسوله ﷺ هو الذي دفع المرأة المسلمة إلى الهجرة في سبيل الله وترك الزّوج والأهل والأولاد لا من أجل كره زوج أو عشيرة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾[٣].

إنّ هذه الصفوة من المؤمنين والمؤمنات آمنوا بالله ربّاً واحداً لا شريك له، وبالإسلام ديناً لا دين سواه، وبمحمد ﷺ رسولاً خاتماً لا نبيَّ بعده، كما آمنوا بأن القرآن الكريم كلام الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلَ حكيم حميدٍ، كما آمنوا بما صحّ عن رسول الله ﷺ من أحاديث شريفة قال عنها الرسول المصطفى ﷺ: «**تركتُ فيكم أمرين لنْ تضلّوا ما تمسّكْتُمْ بهما أبداً كتابَ الله وسنَّةَ نبيّهِ**»[٤].

وقال عنها ﷺ: «**ألاَ إنّي أوتيتُ الكتابَ ومِثْلَهُ معه**»[٥]. كما كان من مقتضى ذلك الإيمان أن يؤمن بأن الآجال بيد الله، قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[٦]. وأنّ ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما

(١) الإصابة، ج ١، ص: ١٧٩.
(٢) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص: ٣٣٨، على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١٠.
(٤) موطأ الإمام مالك، ج ٢، ص: ٨٩٩. وصحيح الجامع، ج ٣، ص: ٣٩، رقم الحديث ٢٩٣٤.
(٥) سنن أبي داود مع معالم السّنن، ج ٥، ص: ١٠، رقم الحديث ٤٦٠٤.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٣٤.

أخطأه لم يكن ليصيبه، وأنّ الأمّة لو اجتمعتْ على أن ينفعوه بشيءٍ لم ينفعُوه إلّا بشيءٍ قد كتبه الله له، وإنِ اجتمعتْ على أنْ يضرّوه لم يضروه إلّا بشيءٍ قد كتبَهُ الله عليه، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾(١). كما أن مقتضى الإيمان، أن الأرزاق بيد الله لا يمكن أن يمنع أحدٌ رزقَ أحدٍ إلّا بإرادة الله، ولا يمكن أن يرزق أحدٌ أحداً إلّا بمشيئة الله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾(٢). ومن مقتضيات الإيمان الاعتقاد بأنّ الله ﷻ يسمع ويرى ويعلم السّرّ والنّجوى ويعلم خائنةَ الأعينِ وما تُخفي الصّدور، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

إنّ الإيمان بهذه الصّورة، هو الذي يعد الدّاعية لعمله، ويجعله قوياً شجاعاً لا وَجِلاً ولا هَيّاباً واثقاً بربّه متكلاً عليه لا يخاف في الله لومةَ لاَئِمٍ.

٢ - الإخلاص لله تعالى:

الإخلاص خُلُقٌ نفسي كريم، يحتاج إليه المسلم في عبادته، وطالب العلم في عمله، والدّاعيةُ في دعوته، وكلّ صاحب عمل شريف، ومقتضى الإخلاص، التّجرّدُ التّامّ في العمل من المصالح الشخصية، المرتبطة بالخلق وعدم إعلانه للناس إلّا ما فيه مصلحة ظاهرة والتّوجه إلى الله بالعبادة وعدم صرف منها لغير الله تعالى.

وعمل الدّاعية من أدقّ الأعمال وأكثرها حساسية لارتباطه بالنّيّة وهي من أعمال القلوب، ولذلك فلا بد أن يعد الدّاعية نفسه من هذه الناحية إعداداً قوياً، فلا يقدم على عمله الدعوي إلا بعد تمحيص النّيّة وتخليصها من الشّوائب التي تعكّرها، وتكدّر صفوها. فإذا عرف الداعية من نفسه الإخلاص لله ﷻ في

(١) سورة التوبة، الآية: ٥١.
(٢) سورة الإسراء الآية: ٣٠.
(٣) سورة المجادلة، الآية: ٧.

أقواله وأفعاله، فإنّه بعد ذلك لا يخشى في الله لومةَ لائمٍ، ولا تقف في طريقه معوّقات الطّريق، وبذلك يُصبح الإخلاص من أهمّ المقوّمات النّفسية في عمله الدّعوي قولاً وفعلاً.

ومن المعلوم أنّ الدّعوة إلى الله من أشرف العبادات التي يُؤدّيها المسلم طاعةً لله وابتغاء مرضاته، وهذا أسمى هدف يسعى إليه المسلم.

٣ - التّفاؤل وحُسن الظّنّ بالله تعالى:

التّفاؤل وحُسن الظّنّ بالله شعور في النّفس يبعث الاطمئنان والثّقة والأمل في المستقبل ممّا يدفع الإنسان إلى المضي قُدماً في تنفيذ خُططه بشجاعة نفسيّة دون خوف أو خَوَر أو وَهْنٍ أو قنوط أو يأسٍ، والتفاؤل صفة حسنة في النّفس مطلوبة لكل إنسان في مسار حياته الطويل، والدّاعيةُ إلى الله أولى النّاس وأحراهم بالتّحلّي بهذه الصّفة الحميدة والشعور بها، لأنّه بحكم ارتباط عمله الدعوي مع النّاس يتعرّض للنّقد والعيب والرفض، وقد لا يتحمل مثل هذه المواجهات فهو بحاجة إلى زرع التّفاؤل في نفسه، والأمل القوي في الإصلاح والصلاح، فلا يدفعُهُ موقفُ الرفض والنّقد من مخالفيه إلى التّوقف في مساره الدّعوي، بل يكون على ثقةٍ واطمئنانٍ واعتزاز بالله ﷻ وإيمان بعونه جل وعلا. ولأهمية التّفاؤل في النّفس الإنسانية فقد جاء الأمرُ بالنّهي عن ضدّه في كتاب الله ﷻ العليم الخبير بنفوس عباده، فقال عزّ من قائلٍ في معرض حديثه عن معركة أُحُد مخاطباً عباده المؤمنين باعثاً في نفوسهم الأمل والثقة بالله سبحانه ومبشّراً لهم بأنّهم الأعلون، وإنْ أُصيبوا بما أصيبوا به من الجراح والقتل: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]. والله ﷻ حينما ينهى عباده المؤمنين عن الشعور بالضّعف والإحساس بالحزن، وعندما يسوق لهم البشرى بعلو مكانتهم على أعدائهم، إنّما يعزي عباده المؤمنين ويُواسيهم، وكفى بها تعزية، وكفى بها مواساة من الله العليم الخبير، تحثُّ على الاطمئنان والثّقة، وتحثّ على السّعي والسير في خط الدّعوة بلا تراخٍ أو كسلٍ أو فتُورٍ.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٩.

ويُثني الله ﷻ في تعزيته ومواساته للمؤمنين، ويُخبرهم بأنّهم إذا صبروا فليسوا أول من صبر بل إن كثيراً من أتباع الأنبياء السّابقين صبروا على ما أصابهم في سبيل الله وما ضعفُوا وما شعروا بالذّلّة والمسكنة، قال تعالى حاكياً عنهم ذلك:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَـٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾(١). ولم يقتصر الأمر في كتاب الله تعالى على تعزية المؤمنين ومواساتهم وبيان فضيلة الصّبر، والتّفاؤل وعدم الوهن والحزن والجزع لمن أراد أنْ يتمسك بهما أو يترك، بل إنّ الله ذمّ اليائسين والقانطين، ونددَ بهم وقبَّحَ فعلهم، مبيناً تذبذب تصرفهم بين السّرّاء والضّرّاء حيث يقول الحق تبارك وتعالى في ذلك: ﴿وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾(٢). بل إن الأمر قد بلغ منتهاه عندما حكم القرآن الكريم بالكفر على مَن وصل به الأمر إلى اليأس من روح الله ورحمته، فقال سبحانه على لسان يعقوب عليه السلام: ﴿وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾(٣).

وقال سبحانه على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾(٤).

ولهذا نقول بأن التّفاؤل أمرٌ مطلوب لكل مسلم وخاصّةً للدّاعية الذي يحتاج إليه في كل لحظة من لحظات عمله الدّعوي، لأنّه لو تسرّبَ اليأسُ والقُنُوط إلى نفسهِ لتوقف عن العمل في تبليغ الدعوة للناس وهم في أمسّ الحاجة إلى أمثاله.

٤ - الجرأة في الحقّ:

الجرأة في الحقّ هي الإقدام على القول أو العمل، في شجاعة نفسيّة مستمدة في أصلها من الإيمان بالله سبحانه وبرسوله ﷺ، والإيمان بالقضاء

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٦.
(٢) سورة الروم، الآية: ٣٦.
(٣) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٤) سورة الحجر، الآية: ٥٦.

والقدر خيره وشره، وهي من المسؤولية التي ينبغي أن يتحلّى بها الدّاعية، وهي تعتمد على الثقة بالنفس بما لديها من معلومات وثقافة وتربية، فكل هذه العناصر سبب في حصول الشجاعة النّفسيّة مبعث الجرأة في نفس الإنسان ودافعه على قول الحق الذي لا يخشى فيه لومةَ لائمٍ.

والجرأة في الحقّ فضيلة نفسيّة عظيمة لا يُؤتاها كلُّ أحدٍ، ولعظم فضلها عُدّتْ من أعظم الأعمال وأفضل الجهاد، فقد قال الرّسول ﷺ: «**أفضلُ الجهادِ كلمةُ عَدْلٍ عندَ سُلْطَانٍ جائرٍ**»(١).

ومن المعلوم أن الجرأة في الحقّ تدفع المتّصف بها إلى قول الحق دون خوف أو وجل، وقال أيضاً: «**سَيِّدُ الشّهداءِ حمزةُ بنُ عبد المطلب، ورجلٌ قام إلى إمامٍ جائرٍ فأمرَهُ ونهَاهُ فقتَلَهُ**»(٢).

ولأهمية الشّجاعة النّفسيّة في الحق فقد بايع الرّسول ﷺ أصحابه الكرام على أشياء كان من ضمنها البيعة على الشجاعة النّفسيّة. قال عُبادةُ بنُ الصّامت رضي الله عنه: «بايعنا رسولَ الله ﷺ على السّمع والطّاعة في العُسْرِ واليُسْر والمَنْشَطِ والمَكْرَهِ، وعلى أثَرةٍ علينا، وعلى أنْ لا نُنَازِعَ الأمرَ أهلَهُ، وعلى أنْ نقولَ بالحقِّ أينما كُنّا لا نخاف في الله لومةَ لاَئِمٍ»(٣).

وقد امتدح الله سبحانه أنبياءه بأنّهم يولون رسالات الله عنايتهم بتبليغها للنّاس بالجرأة والشجاعة النّفسيّة، فلا تمنعهم سطوةُ أحدٍ عن إبلاغ رسالاتِ الله، يخافونه ولا يخافون أحداً سواه سبحانه، ومن المعلوم بالضّرورة أن أتباعهم يدخلون ضمن من يُثني عليهم الله إذا بلَّغُوا دعوةَ الله، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾(٤).

---

(١) سنن أبي داود مع معالم السّنن، ج ٤، ص: ٥١٤، رقم الحديث ٤٣٤٤.
(٢) مستدرك الحاكم، ج ٣، ص: ١٩٥. وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي، وحسّنه الألباني في الجامع، ج ٣، ص: ٢١٩، رقم الحديث ٣٥٦٩.
(٣) صحيح مسلم، ج ٣، ص: ١٤٧٠، رقم الحديث ١٧٠٩.
(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

وإن تاريخ دعاة الإسلام مليءٌ بسير رجال ونساء رفعوا لواء الحقِّ بالجرأة المطلوبة، وللجرأة في الحق شروط نذكر منها:

١ - الإخلاص لله ﷻ وذلك بأن يقصد بقوله أو فعله وَجْهَ الله سبحانه لا الرياء والسّمعة في ثناء النّاس عليه.

٢ - أن يكونَ الدّاعي عالماً بحكم ما يقول.

٣ - أن يكون متزناً في قوله أو فعله فلا يتسرّع أو يتهوّر.

٤ - أن يكون الغرض من الدّعوة إحقاق حقٍّ وإبطال باطلٍ.

٥ - أن يستخدم في ذلك أسلوبَ الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالّتي هي أحسن ومن ذلك تجنب ما يعتقد أن فيه إثارة للمدعو أو عدم قبوله!.

٦ - أن يُنزل النّاسَ مَنَازِلَهُمْ.

٧ - أن يختار الأسلوب الأنفع حسب اجتهاده لاستمالة قلب المدعو.

٥ - الاعتزاز بالإسلام:

لقد قرر الله ﷻ في كتابه العزيز عزة المؤمنين على أعدائهم إبرازاً لمكانتهم العظيمة عند الله، وتطميناً لنفوسهم وتثبيتاً لهم، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1].

يقول العلاّمة سيد قطب رحمه الله في ذلك: ويضم الله سبحانه رسوله والمؤمنين إلى جانبه، ويضفي عليهم من عزته، وهو تكريم هائل لا يكرّمه إلّا الله تعالى. إلى أن قال: وصدق الله فجعل العزة صنو الإيمان في القلب المؤمن، العزة المستمدّة من عزته تعالى، العزة التي لا تهون ولا تهن، ولا تنحني ولا تلين ولا تزايل القلب المؤمن في أحرج اللحظات إلّا أن يتضعضع فيه الإيمان، فإذا استقر الإيمان ورسخ، فالعزة معه مستقرّة راسخة.

ولذلك فإنّ من ثمار الإيمان الاعتزاز بالإسلام، ومن دلالاته شعور المؤمن

(١) سورة المنافقون، الآية: ٨.

بالقوة والمنعة والشجاعة النّفسيّة، والثّبات على الإسلام، وإظهاره في مواطن الجاهلية، والدعوة إليه، والذود عنه بالسّنان واللّسان والكتابة نثراً وشعراً.

وإن من أمثلة الاعتزاز بالإسلام المتمثل بافتدائه بالأبناء ما قدمته الخنساء الشاعرة المشهورة في ثنائها على الله ﷻ عندما استشهد أربعة من أبنائها في معركة القادسية حيث قالت: «الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته»[(١)].

٦- الصّبر عند الشّدائد والمحن:

الصّبر قوّةٌ إيجابية تدفع المتصف بها إلى مقاومة كل أسباب الضّعف والذّلّة والخور والاستسلام، كما تدفعه إلى الثبات بقوة أمام المصائب والفتن والمغريات، ولذلك نقول بأنّ الصّبر ضروري للدّاعية يتسلّح به، ويتّصف في محاور ثلاثة هي: الصّبر على طاعة الله، والدّعوة إليه، والصّبر عن محارم الله، والصّبر على أقدار الله المؤلمة، وكل هذه المحاور الثلاثة لها ارتباط وثيق بوظيفة الدّعوة إلى الله ﷻ ؛ لأنّها تجعل الدّاعية القدوةَ الحسنةَ أمامَ النّاس.

وسنقصر الحديث على ما ورد في الكتاب والسّنة من نصوص تأمر بالصّبر في مجال الدّعوة وتحثّ عليه، وسنتناول بعض هذه النصوص بالعرض والتّحليل في هذين المصدرين مع إيراد نماذج من تضحيات الصّحابة في صبرهم على العذاب في سبيل الله.

أولاً: ما ورد في القرآن الكريم:

لقد وردت كلمة الصبر ومشتقاتها في حدود مائة وخمس آيات، تناولت جميع محاور الصّبر وأنواعه ممّا يدل على أهمية هذه الصّفة الحميدة! يقول الله ﷻ على لسان عبده لقمان الحكيم في وصيته لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾[(٢)]. ففي هذه

(١) ابن حجر العسقلاني، ج ٧، ص: ٦١٦.
(٢) سورة لقمان، الآية: ١٧.

الآية الكريمة أمر صريح واضح على الصّبر في الدّعوة إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، حيث إن القائم بهذه الوظيفة يُعرّض نفسَه للأذى في كل زمان ومكان في الغالب، والله سبحانه يُبيّن لرسوله محمد ﷺ ما كان عليه الرسل السابقون من التّمسّك بالصّبر على الأذى في سبيل تبليغ الدّعوة إلى الله ﷻ، كما يأمره بالصّبر في ذلك كما صبروا، وينهاه عن الاستعجال في النتائج.

فيقول الحق تبارك وتعالى في ذلك: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾[1]. والله سبحانه وتعالى يُواسي رسوله محمداً ﷺ على ما لاقى من تكذيب قومه ببيان صبر الرسل السّابقين على تكذيب قومهم لهم، فقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَإِي الْمُرْسَلِينَ﴾[2].

فإنّ مهمة أتباعهم لا تخرج عن هذا الإطار وما عليهم إلّا الصّبر عند قيامهم بالدّعوة إلى الله تعالى.

ثانياً: ما ورد في السّنّة:

وأمّا ما ورد في السّنّة من الأمر بالصّبر والحث عليه فمنه ما رواه خباب بن الأرت قال: شكونَا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّدٌ بُرْدَةً له في ظلِّ الكعبة، فقلنا: ألاَ تستنصرُ لنا؟ ألاَ تدعو لنا؟ فقال: «**قد كان من قبلِكُم يُؤخذ الرجلُ فيُحفر له في الأرض فيُجعل فيها فيجاء بالمنشار فيُوضع على رأسهِ فيُجعل نصفين، ويُمشّط بأمشاط الحديد، من دون لحمه وعظمه، فما يصدُّهُ ذلك عن دينهِ، والله ليتمنَّ هذا الأمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلّا الله والذئبَ على غنمه، ولكنكم تستعجلون**».

ولمّا فهم صحابةُ رسول الله ﷺ أهميّة الصّبر وقيمته من خلال الآيات

(١) سورة الأحقاف، الآية: ٣٥. (٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٤.

القرآنية والأحاديث النبوية، وعرفوا أهمية الصّبر في إعداد المؤمن الداعية الصادق فقد هيأوا نفوسهم وأعدّوها لتحمل المتاعب في سبيل الله، وانطلقوا في ميادين الدعوة إلى الله غير مكترثين بما يعترضهم من عقبات ومصائب وأهوال. ولقد شهد تاريخ أمة الإسلام أمثلة من هذه التّضحيات في سبيل العقيدة لا تقع تحت حصر، فبذل المسلمون دماءهم وأرواحهم وأموالهم وأبناءهم رخيصة في سبيل مرضاة الله والدّعوة إليه.

البحث الخامس:

الإعداد الخُلُقيّ الاجتماعي للدّاعية المسلم

إنّ وظيفة الدّعوة إلى الله عمل اتصالي بالنّاس، ولذلك فإنّ هذه الوظيفة تحتاجُ إلى نوع معيّن من الأخلاق الاجتماعية الخاصّة، إضافة إلى الأخلاق الاجتماعية العامّة، لأنّ الداعية يحتاج إلى الدخول في قلوب النّاس وعقولهم، وهم كذلك بحاجة إلى ما عنده من وصفات طبيّةٍ إيمانيّة.

ولا بدّ للدّاعية حينئذ أن يُعدَّ نفسَه الإعدادَ المطلوب من أمثاله، كما أنّ القائمين على أمر المجتمع عليهم مسؤولية إعداد الدّعاة، عن طريق وضع برامج وخطط يسير عليها الدُّعاة كي يُصبحوا مؤهّلين للقيام بمهمة الرّسلِ عليهم أفضل الصّلاة وأتمُّ التّسليم.

وإنّ من أول برامج الإعداد؛ العلمُ بما ورد في كتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ من وصفٍ لهذه الأخلاق، وحثٍّ على الاتّصاف بها، وترويض النّفس على امتثالها في الحس والشّعور، ذلك لأن كثيراً من هذه الأخلاق يمكن اكتسابه.

ولعلّ من المناسب هنا ذكر بعض النصوص التي وصفت هذه الأخلاق وحثّت عليها، مما يتعلّق ببيان أهمية هذه الأخلاق للداعية وارتباطها بعمله الدعوي والذي يُؤهله لقيادة النّاس، علمياً وفكرياً ودينياً، كما أنّه لا يمكن

الإحاطة بجميع المتطلبات الاجتماعية اللازمة للدّاعية، وحسب الباحث أن يذكر بعضَها فيما يلي:

١ - الشّعور بأنّ الدّعوة حقٌّ لجميع النّاس.

٢ - الصّدق والأمانة.

٣ - الكرم والسّخاء، وسماحة النّفس.

٤ - الزّهد والعفة، والتّرفع عن المطامع الدنيوية.

٥ - الحلم والعفو، وتحمّل النّاس.

٦ - الرّحمة والرأفة.

٧ - التّواضع وخفض الجناح.

٨ - المودّة والتّآلف.

١ - الشّعور بأنّ الدّعوة حقٌّ لجميع النّاس:

إنّ فهم الداعية أنّ الإسلامَ مطالبٌ به الناس جميعاً على اختلاف مجتمعاتهم ومواقعهم وجنسياتهم ولغاتهم وألوانهم، ومن واقع فهمه لعموم رسالة الإسلام بدليل قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾(١)، يدفعه للقيام بمهمته في مختلف المحاور الاجتماعية دون النظر إلى هذه الاختلافات في تفضيل جنس على جنس، أو لون على لون، أو فئة على أخرى آخذاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾(٢) وكما في هذه الآية، فقد صدرت كثير من آيات القرآن الكريم بالنّداء العام مثل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾(٣) و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾(٤) تأكيداً لهذا المعنى العظيم، ولقد هيّأ الله ﷻ للدعاة درساً في هذا الباب أراد الله وقوعه على يدِ رسولهِ ﷺ تشريعاً للبشرية، وملخص هذا الدّرس، أنّ عبد الله بن أم مكتوم جاء ليتعلم من النّبيّ ﷺ في بيته، وعنده بعض زعماء قريش

(١) سورة سبإ، الآية: ٢٨.
(٢) سورة الحجرات، الآية: ١٣.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٦.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٢١.

obeikandl.com

ممّن هم على الكفر، فرأى الرسولُ ﷺ أنْ يصرف ابن أم مكتوم إلى وقتٍ آخر لانشغاله بهؤلاء النّفر الذين كان يأمَلُ أن يُؤمن بإيمانهم لو آمنوا نفرٌ كثيرٌ، فلما انصرف عبد الله نزل العتاب على رسول الله ﷺ على تصرّفِهِ مع ابن أم مكتوم، وشاهد ذلك العتاب قوله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾[1] فجاء هذا العتاب موعظةً وذكرى يُبرز كرامةَ الإنسانِ المؤمن، وهي موعظةٌ تُشير إلى ضرورة اعتبار القضايا التّالية عند ممارسة الدعوة:

١ - أنّه لا فرق بين إنسان وإنسان مهما كان مظهره أو جنسه أو جاهه أو ماله أو وضعه الاجتماعي فيما يتعلّق بحقّه في الدعوة إلى الله.

٢ - إنّ على الدّاعية مراعاةَ من عندَهُ القبولُ للدّعوة والإقبال عليها وعدم اليأس من المعرضين.

٣ - لا تقتصر الدّعوةُ على من أسلم أو على من لم يسلم، وإنّما هي لمن أسلم تأكيد وتوضيح، وهي لمن لم يسلم هداية وتعليم. وقصة وصية النّبيّ ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن مشهورة تدل على عموم الدّعوة إلى الإسلام لكل الأجناس وأصحاب الملل الأخرى. فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنّ رسول الله ﷺ لما بعث معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال: «**إنك تقدم على قوم أهل كتاب، فليكُنْ أوّلُ ما تدعوهم إليه عبادةَ الله، فإذا عرَفُوا الله فأخبرهم أنّ الله قد فرضَ عليهم خمسَ صلواتٍ في يومهم وليلتهم، فإذا فعلُوا الصّلاة فأخبرهم أنّ الله فرضَ عليهم زكاةً من أموالهم وتُردّ على فقرائهم، فإذا أطاعوا بها فخذْ منهم، وتوقَّ كرائمَ أموالِ النّاس**»[2].

٢ - الصّدق والأمانة:

هاتان الصّفتان منبع الثقة والاطمئنان في الداعية لأنه يتعامل مع كل الناس

(١) سورة عبس، الآيات: ١ - ١٠.

(٢) صحيح البخاري مع فتح الباري، كتاب الزكاة، ج ٣، ص: ٣٢٢، رقم الحديث ١٤٥٨.

وليس محدود الاتصال بأفراد معيـنين من أفراد المجتمع، كما عليه سائر حال معظم النّاس في حياتهم العامة والخاصة.

لذا فإن الصدق والأمانة ضروريان للداعية، لأنّ ما يقوله ليس رأياً خاصاً به، أو دعوة إلى نفسه، وإنّما هو مبلغ عن الله إلى الناس أجمعين، ولا بد والحالة هذه أن يكون صادقاً مع الله سبحانه ثم مع نفسه أولاً، والناس ثانياً، فيما ينقله إليهم وليكون أميناً في نقله لا يخون فيه بزيادة أو نقصان أوتحريف.

وقد يُقبل تقصير الدّاعية في بعض الصّفات المطلوبة في حقّه ما عدا هاتين الصّفتين: الصّدق والأمانة؛ فإنّه أبداً لا يُعذر مطلقاً أمام النّاس، وإذا كان المصطفى ﷺ قد بيّن أنّ الكذب والخيانة من علامات النّفاق في عموم النّاس، فكيف بمن قد أعدّ نفسه وخصص وقتَهُ للقيام بوظيفة الدّعوة إلى الله، حيث يقول المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو أنّ النّبيّ ﷺ قال: «**أربعٌ مَنْ كُنّ فيه كان مُنافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلةٌ منهُنّ كان فيه خصلةٌ من النّفاق حتى يدعها: إذا ائتُمِنَ خانَ وإذا حدَّثَ كذَبَ، وإذا عَاهَدَ غَدَرَ، وإذا خَاصَمَ فَجَرَ**»[1].

لذا فإنّ على الدّاعية أنْ يكون صادقاً فيما يقول أميناً فيما يفعل، وأن لا يخالف قولُهُ فعلَهُ في السّرّ والعلن، ممّا يتعارض مع صفتي الأمانة والصّدق خاصّةً، وجميع الصّفات عامّةً، وليروِّض نفسَهُ على تلك الصّفات إن وجدَ تقصيراً أو عجزاً في نفسه، وليتأسَّ برسول الله ﷺ.

٣ - الكرم والسّخاء:

إن للكرم والسخاء أثرهما البارز في خدمة الدّعوة وإقدام النّاس وميلهم، لأن الكريم يستميل القلوبَ النّافرة، ويمهد النّفوس للطّاعة، وقد كان النّبيّ ﷺ - إمامَ الدُّعاة وقدوتَهُم - كريماً، «وكان يعطي عطاءَ مَنْ لا يخشى الفاقة»[2].

---

(١) صحيح البخاري مع فتح الباري، ج ١، ص: ٨٩، رقم الحديث ٣٤.
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج ١، ص: ٢٣٨.

«وكان أجود الناس»[١]. كما وصفه ابن عمه عبد الله بن عباس دون أن يمنن على أحد بذلك، وكان متمثلاً بذلك أمر الله سبحانه في قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾[٢] ولا ينتظر ثواباً إلّا من الله، والله سبحانه يقول: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾[٣].

فإذا ثبتت هذه المعاني في نفس الدّاعية علم أنّ ما يُنفقه في هذا السّبيل مخلوفٌ عليه ومعوّض عنه من عند الله، ولذلك فلا يتردّد في الإنفاق على المدعوين عند الحاجة بقدر استطاعته المادية في مقابل طموحاته وآماله بنجاح دعوته.

٤ - الزّهد والعفة:

إنّ الدّاعية تاجر من نوعٍ خاصّ فهو لا يتاجر في عمله الدّعوي مع النّاس، وإنّما يُتاجر مع الله سبحانه وتعالى، لأنّ مصدر بضاعته من عند الله سبحانه، والله سبحانه هو الذي يُعوّضه ويجزيه الأجْرَ والثّوابَ، ولا يجوز للدّاعية أن ينظرَ إلى ما في أيدي النّاس أو جيوبهم في مقابل بضاعته التي يعرضها عليهم، وليأخذ من رسل الله وأنبيائه عليهم الصّلاة والسّلام الأسوة والمثل في ذلك، حيث كانوا يصرحون لأقوامهم بأنّهم لا يأخذون الأجْرَ ولا يسألونه في مقابل قيامهم بتبليغ النّاس رسالةَ الله وإنذارهم سطوتَهُ وأليم عقابه.

قال الله تعالى على لسان نوح عليه الصلاة والسّلام: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ﴾[٤] وكما في قوله سبحانه على لسان نوح وهود وصالح

(١) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب: كان النّبيّ ﷺ أجود الناس بالخير، ج ٤، ص: ١٨٠٣، رقم الحديث ٢٣٠٨.
(٢) سورة المدثر، الآية: ٦.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٧٢.
(٤) سورة هود، الآية: ٢٩.

ولوط وشعيب عليهم الصّلاة والسّلام مخاطبين أقوامهم، كلٌّ منهم يقول: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١). وكما في قوله سبحانه مخاطباً نبيَّنا محمد ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾(٢).

٥ - الحلم والعفو:

الحلم والعفو صفتان مُتَلازمتان إذا وُجِدَ أحدُهما وُجِدَ الآخر، وقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المتّصفين بهما فقال سبحانه: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٣). إنّ الدّاعية في عمله الدّعوي يحتاج أكثر من غيره إلى خلق الحلم على الناس والعفو عنهم، لأنّه يأتيهم بما لا يعرفون قيمته وفضله في الغالب، ولذلك فقد يتعرّض للإساءة منهم والأذَى، وهذا أمرٌ جبلّيّ في الإنسان في مقاومة ما يجهله، ولا بدّ أنْ يكونَ الدّاعيةِ على حيطةٍ وحذرٍ ممّا سيُواجهه من النّاس، كما أنّ عليه أن يستعدَّ للمعارضة والتّخلّق بالحلم على المدعوين والعفو عنهم، وإلاّ فلن ينجح في مهمته الدّعوية إنْ قدَّم أخذ الثأر لنفسه والانتصار لها وقابل السّيّئة بالسّيّئة، والله سبحانه وتعالى يقولُ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾(٤).

ولقد أثنى رسول الله ﷺ على الصّحابي الجليل أشج عبد القيس لاتّصافه بهذا الخُلُق الحميد حيث قال له: «**إنّ فيكَ خصلتين يُحبُّهما الله، الحِلْمُ والأَناةُ**»(٥) والحلم ليس دليل ضغفٍ أو عجزٍ بل إنّه دليل على القوّة بدليل قول الرّسول ﷺ: «**ليس الشّديد بالصُّرْعة، إنّما الشّديد الذي يملك نفسَهُ عندَ الغضب**»(٦).

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ١٠٩ و١٢٧ و١٤٥ و١٦٤ و١٨٠.
(٢) سورة صّ، الآية: ٨٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٤.
(٥) صحيح مسلم، ج ١، ص: ٤٨، جزء من حديث رقم ٢٥.
(٦) صحيح البخاري مع فتح الباري، ج ١٠، ص: ٥١٨، رقم الحديث ٦١١٤.

ولضرورة هاتين الصّفتين الحلم والعفو في حياة الدّاعية فقد أمر الله سبحانه وتعالى رسوله محمداً ﷺ بقوله: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾(١) ويقول سبحانه: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾(٢).

٦ - الرّحمة والرّأفة:

يُعتبر خُلُق الرّحمة من أهم الأخلاق، ويجب على الدّاعي أنْ يتحلّى بها، ولذلك اتصف بها أئمةُ الدّعاة، وهم رسلُ الله عليهم أفضل الصّلاة وأتمُّ التّسليم وفي مقدمتهم رسول الهدى ﷺ الذي قال الله سبحانه وتعالى في حقّه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(٣). وقوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾(٤).

إنّ رحمة الدّاعية بالنّاس وشفقته عليهم ونصحه لهم من أهمّ عوامل الجذب والقبول لما يقول، ولا بدّ أن تكون هذه الرّحمة نابعةً من خوف الدّاعية وشفقته على المدعوين، وحرصه على إنقاذهم من الضّلال والكفر الذي يُؤدي بهم إلى النّار، ورجائه بأنْ يفوزوا برضوان الله سبحانه.

وإنّ الرحمة المطلوبة في الدّاعية هي التي لا تتأثّر بسبب إعراض النّاس أو جهلهم عليه أو إيذائهم له، لأنّهم في هذه الحالة يجهلون قيمة ما يدعوهم إليه ويدلّهم عليه في الغالب.

وإنّ الرّحمة المطلوبة في الدّاعية تُورث العفو والصّفح في قلب الدّاعية لمن أساءَ إليه أو اعتدَى عليه.

والرّحمة تُورث اللّين في القلب، فيُقابل الدّاعيةُ المدعوين بالرِّفق واللّين، ويتجنب الغلظة والفَظَاظَةَ التي تُسبب نفُورَ النّاس عنه وعن قبول ما يدعو إليه وإنْ كان صواباً، ولذلك بيّنَ الله سبحانه فضل نعمته على رسوله ﷺ حيث جبله على

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٩٩.
(٢) سورة المائدة، الآية: ١٣.
(٣) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٤) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

خُلُقِ الرّحمة وأبْعَدَ عنه خُلُقَ الفَظَاظة والغِلْظة في قوله سبحانه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾[1].

فإذا كان النفور سيقع لو كان النّبيّ ﷺ فظاً غليظ القلب - وحاشاه - فإنّ غيره من الدّعاة من باب أولى إذا تخلَّقُوا بهذا الخُلُق السيّىء. ولذا فيلزم الدّاعيةُ أنْ يكونَ رحيماً، وليروض نفسَهُ على هذا الخُلُقِ الكريم حتّى يكتسبه ويكون مألوفاً لديه، وليكون أحد أسلحته التي يستخدمها في الدّعوة إلى الله تعالى.

٧ - التّواضع وخفض الجناح:

إنّ التّواضعَ أحدُ الصّفاتِ الأساسية التي تُساعد على المعاشرة الحسنة، وهو من المطالب الأساسية للدّاعية إلى الله سبحانه، لأنّه قد جعل الدعوة إلى الله همَّهُ، ولا يُمكنه أن يوصل الكلمة الطّيّبة للنّاس إذا كان يكلمهم من برج عاجي، بل لا بدّ له أن يدخل في نفوسهم جاعلاً نفسه كأحدهم، مشعراً لهم بذلك، ملزماً نفسه بهذا الخُلُق الكريم. وهو بهذا الصّنيع جديرٌ بأن تُفتح له القلوب، وتطمئنَّ إليه النّفوس، ويُقبل قولُه، ويُطاع أمرُه، ويُسمع لدعوتهِ، لأنّه قد حقق قول الله سبحانه في نفسه حيث يقول آمراً نبيَّه محمداً ﷺ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[2] وأمّا من يستطيل على النّاس ويحتقر شأنَهُم ويتعالى عليهم، فإنّه جدير بنفور النّاس عنه، والهروب منه، وإغلاق قلوبهم عن كلامه، حتى ولو كان ما يقوله حقّاً، وقد يكون وبالاً لا على نفسه فحسب بل على الدّعوة أيضاً، وعلى الدّعاة الآخرين فكثيراً ما رأينا الشّاتمين على الدعوة والدّعاة وعلى الآمرين بالمعروف والنّاهين عن المنكر، وذلك بسبب سلوكهم السّيىء في منهج الدّعوة، وهكذا جُبلتِ النّفُوسُ على حُبِّ مَنْ أحْسَنَ إليها وكراهية مَنْ أساءَ إليها.

٨ - المودّة والتّآلف:

بحكم عمل الدّاعية المرتبط بالنّاس فلا بدّ له من أن يكون هاشّاً باشّاً، تبرقُ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

أساريرُ وجهه أمامَ من يدعوهم ويختلط بهم، يشعر بشعورهم يفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم، ويخفف عليهم الآلام، يشعر إخوانه ومدعويه بأنّه يُحبهم ويتودّد إليهم، يحترم كبيرهم، ويعطفُ على صغيرهم، يعود مريضهم، ويعزي في ميّتهم، ويدعو لهم من كل قلبه بالشفاء والرحمة، ويشعرهم أنه واحد منهم لا يفضل عليهم بشيء، ويريهم أنّه يستفيد منهم أحياناً، لا يدّعي لنفسه الكمالَ، ويشعرهم بتقصيره، لا يحمل في قلبه غلّ لأحد ولا يضمر حقداً ولا حسداً، ولا يشتغل بغيبةٍ ولا نميمةٍ، ولا يسعى بالفُرْقة بين النّاس، بل يحرص على لمّ الشّتات وجمع الشمل، جامع لخصال الخير محب لها، مانع لخصال الشّرّ كاره لها.

فإذا ما كان الدّاعيةُ على مثل هذه الحال أو قريب منها، فإنّه سيكون مقبولَ القول مسموعَ الكلام، محبُوباً مألوفاً، كما كان عليه أبو بكر ﷺ عندما آمن بالرّسولِ ﷺ وصدقه، قام من فوره بدعوة النّاس إلى هذا الدِّين الجديد ونجح في مهمّته نتيجة لاجتماع كثير من الخصال الطيبة فيه[1] رضي الله تعالى عنه وعن جميع الصّحابة الكرام.

البحث السادس:

أصل الدعوة إلى الإسلام أن تكون بالتي هي أحسن

مفهوم المجادلة بالتي هي أحسن:

الجدل هو اللّدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جادَلَهُ مجادلةً وجِدَالاً، ورجل جدل ومجدل ومجدال: شديد الجدل، يقال: جادلت الرجل فجدلتهُ جدلاً أي غلبتُه، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام، وجادله أي: خاصمه،

(١) سيرة النّبيّ ﷺ ابن هشام، ج ١، ص: ٢٦٧.

مجادلة وجدالاً والاسم «الجدل» وهو شدّة الخصومة، وأصله من جدلت الحبل أي أحكمتُ فتلَهُ، ومنه الجدال فكأن المتجادلين يفتل كل واحد منهما للآخر عن رأيه، وقيل الأصل في الجدال الصراع وإسقاط الإنسان صاحبه على الجدالة وهي الأرض الصّلبة.

وعلى ذلك يمكن أن يُقال: الجدل هو الخصومة والمنازعة في البيان والكلام لإلزام الخصم بإبطال مدعاه وإثبات دعوى المتكلم. ومنه حسنٌ ومنه قبيحٌ.

وإذا كان القرآن الكريم وسنّة رسوله ﷺ هما المصدرين الأصليين للدعوة وأنّهما يمثلان المعجزة البيانية الخالدة الموجهة للأفكار والمبادىء والمعتقدات القائمة على الحجج والبراهين، فلا غرابة أن نرى وفرة هذه الأساليب الجدلية في كتاب الله سبحانه وسُنّة رسوله ﷺ ناطقة بالحجج الصّحيحة والبراهين الواضحة.

أهمّيتها في الدّعوة:

تعود أهمية أسلوب الجدل في الكتاب والسّنّة إلى أنّهما يُقدمان في نقاش الخصوم ومجادلاتهم على اختلاف انتماءاتهم الاعتقادية والعلمية ما يفحمهم ويوقفهم على الحقيقة النّاصعة بطريقة جذّابة فذة وأسلوب رصين مقنع، بمباهج متنوعة بأروع حجة وأحكم برهان وفق مقتضيات الحال وما يوصل إلى المطلوب بأقرب الطرق، ومن خصائص أسلوب الجدل أنه يشد النّفوس إلى متابعة الصور الجدلية في كل مراحلها إلى أن تصل إلى نتيجتها الحتمية.

أمّا فيما يتعلّق بمراعاة أحوال الخصوم فإنّ القرآن الكريم والسّنّة المطهرة في المظهر العام يتعاملان مع الخصوم بما يتناسب مع أحوالهم الاعتقادية والعلمية، فكثيراً ما يكون الجدلُ مع المشركين جدلَ هدايةٍ ودلالةٍ وإرشادٍ، وقد يتناول تخطئةَ بعضِ مزاعمهم، بينما نجد أن الجدل مع أهل الكتاب جدل تخطئة وإلزام لأنّهم على علم، أمّا الجدل مع المنافقين فتبدو عليه سمات الشّدة المصحوبة بالتّهديد والوعيد.

والمتتبع لآيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية يجد أنّ أسلوب الجدل فيهما يتجه تارةً إلى إرشاد المجادل، والأخذ بيده إلى التّفكير في ملكوت السموٰات والأرض والتأمل في خلق الله وبديع صنعه سبحانه، مثل قوله ﷻ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾[1]. وهذه الآيات جاءت في معرض الرد على الكفار الّذين جادلوا مكذّبين بما ذكره الله سبحانه في هذه السورة من النّعيم المقيم في الجنّة.

وتارةً يتجه إلى إلزام المعاند وإفحامه، كما في قوله سبحانه رداً على المشركين زعمهم بأنّ الرسول يجب أن يكون مَلِكاً: ﴿وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾[2]. وكما قال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[3].

وفي سبيل تحقيق هذه الغاية فإن القرآن الكريم والسّنّة النّبوية المطهرة قد يسلكان مع الخصم مسلك المجاراة والإمهال والتّدرج لاستدراجه إلى التّسليم أو الإلزام بطريق المنطق الصّحيح، وبذلك تهدأ نفسُ الخصم وتلينُ عريكتُهُ ويستقبلُ الحجَّةَ والبرهانَ في جوٍّ من الهدوء والارتياح، ويظهرُ ذلك في قول الله سبحانه وتعالى على لسان رسوله ﷺ: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[4]، مع أنّ الرّسول ﷺ لم يشك لحظةً في أنه هو الذي على الهدى وأنّ الكفار هم الذين على الضّلال وإنّما كان هذا التّعميم في الحكم لاستمالة الخصوم لسماع الحق وقبوله.

---

(١) سورة الغاشية، الآيات: ١٧ - ٢٠.
(٢) سورة الأنعام، الآيتان: ٨، ٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٨.
(٤) سورة سبإ، الآية: ٢٤.

وبما أنّ الإسلام قد جاء بأمرين أساسيين للعباد هما: الدّعوةُ إلى العقيدة أولاً، والشريعة ثانياً، فإنّ من المناسب إيراد نماذج جدلية من الكتاب والسنة لتوضيح الأسلوب الجدلي في هذين الأمرين للاستشهاد فقط.

وسأتناول الموضوع في مطلبين:

الأول: الجدل في إثبات العقيدة.

الثاني: الجدل في التّشريع.

المطلب الأول: الجدل في إثبات العقيدة:

تتعدّد أغراض الجدل في القرآن الكريم والسّنة المطهرة بحيث لا يمكن قصرها على غرض واحد، فهناك جدال لتقرير وجودِ الله سبحانه، وتقرير عقيدة التّوحيد، سواء كان ذلك مع الدّهريين أو أهل الكتاب أو المشركين من عبدة الأصنام.

كما يتناول الجدل في القرآن الكريم إثبات الرسالات والبعث والجزاء بعد الموت، وحسبنا هنا أن نورد بعض الأمثلة الجدلية الدّالة على وجود الله ووحدانيته، ومن الشّواهد على ذلك ما يلي:

١ - فيما يتعلق بمجادلة الملحدين - وهم الذين يُنكرون وجود الله أصلاً - فإنّهم وإن تظاهروا بإنكار وجود الله فإنّ هذا الوجود الإلٰهي يفرض نفسه على أحاسيسهم ومشاعرهم ويقولون به من حيث لا يشعرون، وذلك بناءً على الفطرة التي فُطِرُوا عليها وإنْ كانوا لا يطلقون اسم الله على ما يحسّون به داخل نفوسهم، إلّا أنّهم يُقرّون بوجود قوة تُسيِّرُ هذا الكون وسواء أضافوا هذه القوة إلى قانون العلية والسّببية للكون، أو قانون التّفاعل المادي لتلك القوى، كما يرددون، فإن هذا إحساس بوجود خالق مدبّر لهذا العالم ولكنّهم يُكابرون فطرتهم وأحاسيسهم فيلجأون إلى القول بأن وجود العالم كان مصادفة واتّفاقاً، وزعموا أنّ العالم لم يزل موجوداً كذلك بنفسه بلا صانع، ولم يزل الحيوان من النطفة والنّطفة من الحيوان كذلك كان وكذلك يكون أبداً.

وقد تولى الله سبحانه وتعالى الردّ على هذا الزّعم بتجهيل أصحابه واعتمادهم على الظّنون التي لا تُغني عن الحق شيئاً حيث يقول سبحانه عنهم: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾[1]. فدعوىٰ الدّهريين بعدم وجود الخالق وأنّهم وجدوا عن طريق التوالد وسيموتون بفقدان الحياة قد رد عليها القرآن الكريم بأمرين:

أحدهما: بنفي العلم عنهم كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾[2] والنّفي هنا يُفيد العُموم لأنّه نكرة في سياق النفي فيعمم.

ثانيهما: إثبات الظّنّ والتّخرص في دعواهم كما في قوله تعالى: ﴿إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾[3] وقد ثبت أنّ الظّنّ لا يفيد ولا يُغني كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا﴾[4] وبذلك ينفي القرآن الكريم أن تكون دعواهم مستندة إلى دليل، وإذا فقد الدليل في الدّعوى أو طعن فيه بشيء من المطاعن المعتبرة سقط الاستدلال به، وإذا امتنعت المقدّمة بطلت النّتيجةُ. كما أن الله سبحانه أثبتَ وجودَهُ بالبراهين القطعية والمجادلة المنطقية بقوله سبحانه: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾[5].

وفي هذا ردٌّ على الملحدين الذين يُنكرون وجودَ الله سبحانه وتعالى. والجدال مع الدّهريين لا يخلو من أحد افتراضات ثلاثة:

أحدها: إمّا أن يكون كلُّ شيءٍ قد وجد من غير موجدٍ من دون عِلّةٍ له أو سبب في الإيجاد.

ثانيها: وإمّا أنْ يكون كل شيءٍ قد أوجد نفسه وهذان الافتراضان تمنعهما بداهة العقُول.

---

(١) سورة الجاثية، الآيات: ٢٤ - ٢٦.
(٢) سورة الجاثية، الآية: ٢٤.
(٣) سورة الجاثية، الآية: ٣٢.
(٤) سورة النجم، الآية: ٢٨.
(٥) سورة الطور، الآيتان: ٣٥ - ٣٦.

ثالثها: وإمّا أن يكون لكل الموجودات موجدٌ ينتهي إليه الخلقُ والتّدبير وهو الله سبحانه وتعالى.

فثبت عن طريق هذا الحصر قيام البرهان على وجود الله تعالى وإبطال دعوى المنكرين من الماديين والطّبيعيين والدّهريين.

٢ - أمّا فيما يتعلق بإثبات وحدانية الله سبحانه فله علاقة بإثبات وجوده ووجه العلاقة بينهما أنّ أدلّة وحدانية الله متضمنة لإثبات وجودهِ إلزاماً والتزاماً بمعنى أنّ من أقرَّ بوحدانية الله، فقد أقرّ بوجوده سبحانه وتعالى، وأنّ أدلّة وجود الله متضمّنة لوحدانيته إلزاماً فقط، فقد كان المشركون يُؤمنون بوجود الله ولم يدخلهم هذا الإيمان في توحيد الألوهية، كما قال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[١] فهذا الإقرار منهم يلزمهم بتوحيده في العبادة؛ لأنّه إذا ثبتَ وجودُ خالقِ هذا الكونِ فلا بدّ من ثبوتِ وحدانيّتِهِ.

وقد دلَّلَ القرآنُ الكريمُ على وحدانية الله سبحانه من طريقين:

الطريق الأول:

الاستدلال بانتظام الكون وسلامته من الاختلال والتصادم ومن أبرز أدلة ذلك ما يعرف بدليل التّمانع وهو ما يعرف بقياس الخلف، ومثال ذلك من كتاب الله قوله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا﴾[٢] وقوله سبحانه: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٣] وقوله: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[٤].

الطّريق الثاني:

في التّركيز على إبطال معبودات المشركين وبيان حقارَتِها وضعفها وتفاهتها وعجزها، كما في قوله سبحانه فيما جرى بين إبراهيم عليه السلام وقومه من المجادلة بعد أنْ حطّم أصنامهم: ﴿قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ

(١) سورة الزخرف، الآية: ٩.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٤٢.
(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٢٢.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.

كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾[1].

٣ - أمّا في السّنّة المطهرة التي تأثر أسلوبها بالقرآن الكريم لأنّهما يصدران من مشكاةٍ واحدةٍ هي مشكاةُ الوحي الالٰهي. فقد ثبتَ أنّ الرّسول ﷺ صعدَ إلى الصّفَا بعد أن نزلَ عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[2] ونادَى إلى توحيد الله، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لمّا نزلتْ هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ خرج رسول الله ﷺ حتى صعدَ الصّفا فهتفَ: «**يا صبَاحَاهُ**» فقالوا مَنْ هذا الذي يهتف؟ قالوا: محمّدٌ، فاجتمعُوا إليه فقال: «**يا بني فلان، يا بني فلان، يا بني عبد مناف، يا بني عبد المطلب**»، فاجتمعوا إليه، فقال: «**أريتُكُمْ لو أخبرتُكُم أنّ خيلاً تخرجُ بسفح هذا الجبل أكنتُمْ مُصدّقيَّ؟**» قالوا: ما جربنا عليكَ كَذِباً، قال: «**فإنّي نذيرٌ لكم بينَ يدي عذابٍ شديد**»؟ فقال أبو لهب: تبًّا لكَ، أما جمعتَنَا إلّا لهذا؟ ثم قام، فنزلت هذه السورة: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[3] وقد تب[4].

المطلب الثاني: الجدل في التّشريع:

وكما ورد الجدلُ في العقيدة، فقد ورد كذلك في قضايا التّشريع حيث حفل القرآن الكريم، وحفلت السُّنّة المطهرة بأمثلةٍ كثيرة في أمور التّشريع مثل تحليل بعض الأمور ثم تحريمها أو العكس، أو نسخ بعض التّشريعات بأخرى خيرٍ منها، وما نتج عن ذلك من جدالٍ بين الرسولِ ﷺ والمدعوين.

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٦٢ - ٦٧.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٤.

(٣) سورة المسد، الآية: ١.

(٤) صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب: قول الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾، ج ١، ص: ١٩٣، رقم الحديث ٣٥٥.

وفيما يلي نذكر أمثلةً على ذلك:

الجدل في القرآن الكريم:

١ - ومن أمثلة الجدال في التّشريع قصّة خولة بنت ثعلبة الخزرجية رضي الله عنها التي جادلتِ الرّسول ﷺ في زوجها أوس بن الصّامت الذي تزوّجها في ريعان شبابها وعَاشَا عمراً طويلاً، ثم تقدمت بهما السُّنُون وذات يوم دخل عليها فداعبها في خفة وطيش فنفرت منه فاستحوذت عليه الدّهشة وتملّكه الغضب وثارت ثائرتُه وحرَّمَها على نفسِهِ كما حرمتْ عليه أُمُّهُ حيث قال لها: «أنتِ عليّ كظهرِ أُمّي» فذهبتْ خولةُ إلى رسول الله ﷺ تستفتيه في هذا الأمر وتطلبُ منه أن يجعل لها مخرجاً من هذا المأزق الذي وقعتْ فيه هي وزوجها وبثّتْ رسول الله ﷺ شكواهَا قائلةً له: «إنّ أوساً قد تزوّجني وأنا شابّة مرغوبٌ فيّ فبعد أن كبرتْ سنّي وكثُرَ أولادي جعلني كأُمّهِ وإن لي منه صبيةً صغاراً إنْ ضممتُهم إليه ضَاعُوا، وإنْ ضممتُهم إليَّ جَاعُوا» وما كان النّبيّ ﷺ أن يقضي بأمره أو ينطق عن الهوى فهو رسول من عند الله يستقبل أوامر الوحي، فما كان عند رسول الله ﷺ إلّا الحكم بما كان متعارفاً عليه في الجاهلية من أنّ الظّهار طلاقٌ مُؤبَّدٌ فكان يقول لها: «**ما أعلمُكِ إلّا قدْ حرمتِ عليه**» فاشتدَّ حُزْنُ المرأة وزادتْ حسرتُها وكانت تُراجع رسول الله ﷺ وتقول: يا رسولَ الله ما ذكر طلاقاً وإنّما هو أبو ولدي وأحبُّ النّاس إليَّ؟ وهي تريد بذلك أن يعطفَ عليها الرّسول ﷺ ويرحمَ حالَها وحالَ زوجِها، فما يزيدُ عن أنْ يقولَ: «**ما أعلمُكِ إلّا قد حَرُمْتِ عليه**» فالتجأتْ بعد ذلك إلى الله الذي وسعتْ رحمتُهُ كلَّ شيءٍ ترجُوه أن يُزيل كربَتَها ويرفعُ غَمَّها وقالت: «أشكُو إلى الله فاقَتِي ووَجْدِي» وطال بها الوقوف وأكثرت التّضرّع، فاستجابَ الله لها حيث أوحى الله سبحانه إلى رسولهِ في شأنها هـذه الآيـات: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[1] إلى قوله سبحانه: ﴿عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2].

والمرأة المجادلة قد نزعت في جدالها منزعاً عقلياً إلى ما في عملية الظهار

(١) سورة المجادلة، الآية: ١.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٤.

من قسوةٍ وضررٍ وعدم السّعة في الأمر بما يُخالف مبدأ اليُسْر ورفع الحرج في شريعة الإسلام.

٢ - ومن الأمثلة كذلك جدال المنافقين للمؤمنين، حيث ورد ذلك في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾﴾[1].

ويتبيّن في الآية الأولى دعوى: «أنّ المنافقين مفسدون في الأرض» ويرد المنافقون هذه الدّعوى بقولهم: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ ولكن الله سبحانه وتعالى يكشف كذبَهُم وافتراءهم ويُقرّر أنّ المنافقين ﴿هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ﴾ والله سبحانه أعلم بما يُضمرون من الكفر والفساد، وما تنطوي عليه نفوسهم من تكذيب رسول الله ﷺ، والتّحريض عليه وإلقاء الشُّبَهِ بينَ المسلمين.

وقد زعم المنافقون في الآية الثّانية أنّ الإيمان والاستسلام من صفات ضعفاء النّاس وفقرائهم الذين أطلقُوا عليهم صفة السَّفه، ولكن الله ردّ عليهم هذه الصّفة وهذا اللّقبَ حيثُ قرّرَ سبحانه ذلك بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ﴾[2] !؟.

أما الآية الثالثة فتُبيّن لنا مدَى ارتباط المنافقين في المدينة باليهود الحاقدين على الإسلام وعلى نبيّه عليه الصّلاة والسّلام.

الجدل في السُّنّة النّبوية المطهرة:

أمّا الجدل المتعلّق بالشّريعة كما ورد في الحديث النّبوي فقد ذكرنا بأنّه تأثّرَ قطعاً بأسلوب القرآن الكريم لأنّهما يصدران من مشكاةٍ واحدةٍ هي مشكاة الوحي

(١) سورة البقرة، الآيات: ١١ - ١٥. (٢) سورة البقرة، الآية: ١٣.

الإلٰهي، ومن ذلك أسلوب الجدل حيث نرى الرّسولَ ﷺ يعمد إلى الجدال والمناقشة خلال تبليغه رسالةَ ربِّهِ إلى النّاس أجمعين كلّما دعت الحاجة إلى ذلك، ونماذج الجدل في الأسلوب النبوي في قضايا التّشريع كثيرة، نذكر منها ما يلي:

١ - قصّة ابن اللتبية الذي بعثه الرّسول ﷺ لجمع الصّدقة، فلما مَثُلَ أمامَ الرّسول ﷺ ومعه أموالُ الصّدقة، قال للرسول ﷺ: هذا لكُمْ وهذا أُهدِيَ إليَّ؟ فعاتبه الرّسول ﷺ عتاباً شديداً.

فعن ابن حميد السّاعدي رضي الله عنه قال: استعملَ رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد على صدقات بني سليم يدعى ابن اللتبية - أو الأتبية - فلما جاءَ حاسبَهُ، قال: هذا ما لكم وهذا هدية، فقال الرّسول ﷺ: «**فهلا جلستَ في بيتِ أبيكَ وأُمِّكَ حتى تأتيَكَ هديتُكَ إنْ كنتَ صادقاً**» ثم خطبنا فحمدَ الله وأثنى عليه، ثم قال: «**أمّا بعدُ، فإنّي أستعملُ الرجلَ منكم على العمل مما وَلّانِي الله، فيأتيني فيقول: هذا لكُمْ وهذا هديةٌ أُهديتْ لي؟! أفلا جلسَ في بيت أبيهِ وأُمِّهِ حتى تأتيه هديتُهُ إنْ كان صادقاً؟ والله لا يأخذ أحدٌ منكم شيئاً بغير حقّهِ إلّا لقيَ الله تعالى يحمله يوم القيامة، فلأعرفن أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رُغَاءٌ أو بقرةً لها خوارٌ، أو شاةً تيعرُ**» [تيعر: هو الصوت الذي تخرجه الشاة عادة إذا أرادت شيئاً]. ثم رفع يديه حتى رُؤي بياضُ إبطيهِ ثم قال: «**اللّهم هل بلغتُ!؟ بَصَرُ عيني وسَمَعُ أُذُنِي**»(١).

٢ - وعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أمرهم، أمرهم من الأعمال بما يطيقون قالوا: لسنَا كهيئتِكَ يا رسولَ الله إنَّ الله قد غفرَ لك ما تقدّم من ذنبِكَ وما تأخّر، فيغضِبَ حتى يعرف الغضبُ في وجههِ، ثم يقول: «**إنّ أتقاكم وأعلمكم بالله أنا**»(٢).

---

(١) صحيح مسلم، ص: ١٤٦٣، رقم الحديث ٢٧.

(٢) صحيح البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب: قول النّبيّ ﷺ: «**أنا أعلمكم بالله**»، ج ١، ص: ٧٠، رقم الحديث ٢٠.

وبهذا يُبيّنُ رسول الله ﷺ أنّ ما يأتي به من عملٍ هو من أرقى ما يكونُ عبادةً لله تعالى، فلا مجال لأحدٍ أنْ يدعيَ في الإسلام عبادةً لم يأتِ بها رسول الله ﷺ.

وعلى هذا كان عمل المبتدع مردوداً على صاحبه غير مقبول في الإسلام، يقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ أحدَثَ في أمرنا هذا** - أي الإسلام - **ما ليس منه، فهو ردٌّ**»[1] ردٌّ على المبتدع كائناً مَنْ كان، فالإسلام هو ما جاء به رسول الله ﷺ فحسب.

(١) صحيح مسلم برقم ١٧١٨.

obeikandl.com